الباب الخامس

الحروب الإعلامية: إن وسائل الإعلام الغربي عملت على تغذية العقل الغربي بمحاولات الربط بين الإسلام والعنف والإرهاب، وذلك لتخويف الغربيين من الإسلام، وروجت صورة سلبية عن المسلمين والإسلام، والصورة النمطية الحالية للإسلام في الإعلام الغربي، هى فى الحقيقة صورة تكونت نتيجة لموروث تاريخى وثقافى مازال مسيطر على العقل الغربي، وجعلته أسير مواقف وتصورات غير منصفة وغير موضوعية، وتكون أحيانا كثيرة مغرضة، وبالرصد التاريخى للعلاقة بين الثقافة اليهومسيحية للغرب والثقافة العربية الإسلامية للشرق، تبين أن تصورات الغرب عن العرب والمسلمين كان أساسها هى توراتهم المحرفة.

ويحتل الإعلام دوراً رئيسياً في تكوين الرأي العام تجاه القضايا والمشكلات المطروحة للبحث، وبتطور الوسائل التقنية وسرعتها أصبح الإعلام هو الذي يقوم بصياغة الأفكار والأراء حول أحداث أو موضوعات معينة، وهو الذى يقوم باثارة مشاعر الغضب أو التعاطف مع عناصر الحدث من خلال الكلمة والصورة والصوت واللقاء والمتابعة

؛ لأن الإعلام يملك تاثيراً قوياً وواسعاً على الجماهير فلم يترك للارتجال والعفوية.

ومن المؤسف أن الإعلام الغربى روج صورة الإسلام فى أسوأ صوره، حيث اختار سلبيات المجتمع الإسلامي، وبدأ يشنع ويخلطها بالتخلف والجمود والرجعية، مستخدماً صوراً إعلامية، واتجهت الصحف والمجلات والفضائيات الغربية، والمؤلفات التي تشوه صورة الإسلام في أبشع صوره، كما ظهرت المصطلحات المغلوطة عن المسلمين بأنهم إرهابيون أو أصوليون أو متطرفون أو غير ذلك، بل كذلك على الإسلام مثل الخطر الأخضر أو الصحوة الإسلامية، وأخيراً وليس بآخر بروز بعض المصطلحات الثقافية كصراع الحضارات أو الصدام بين الشرق والغرب، وبزوغ بعض المصطلحات الدينية مثل الصراع العقائدى، الحرب الصليبية فى الألفية الثالثة، بودار معركة هرمجدون والحرب الاعلامية من تعريفاتها فن الانتصار بدون حرب وهي في الأغلب تسعى للسيطرة على عقل وقلب الخصم بحيث تصنع تشوش في الفهم والتصور وتقوم علي صُنع هالة أمام أعين الخصم،يعجز معها عن تقدير قوة خصمه بما يُمكِّن للطرف المستهدِف السيطرة العقلية والروحية على المستهدَف وللحرب الإعلامية وسائل من يمتلكها ينجح بقدر ما يوليه لهذه الحرب من أهمية، ولقد استطاع الكفار السيطرة على أفهام الكثير من الناس بفضل الجهد الجبار الذي يمارسوه في حربهم الإعلامية

وتعتمد الحرب الإعلامية على عدة نقاط ضرورية لتكتمل دائرة السيطرة على الخصم منها:

- التهويل من قدرة المستهدِف والتهوين من قدرة المستهدَف.
- تبرير الحرب بالأخلاق والمبادئ، والتشكيك فى أحقية الخصم فى الحُكم.
- تمييع المصطلحات بحيث يُحار في فهمها كالإرهاب والتطرف ومن ثم يعجز عن مواجهتها.
- الكذب في النتائج واستباق حدوثها وكأنَّ الحرب قد انتهت والقوات قد استسلمت وفي الحقيقة أنها لم تبدأ بعد.
- إضفاء نوع من القداسة على رموز المستهدِف.

والحرب الإعلامية في مُجملها تقوم على الكذب والتضليل والخداع والتمويه، ولكنها في النظرية الإسلامية جاءت كأسمى ما تكون، فهى تعتمد على الحقائق والوقائع المحسوسة .

وقد استخدمت قريش الحرب الإعلامية ضد الرسول بأقذر صورها وكان لزاما على الرسول وهو سيد الخلق وأعلمهم بادارة الحروب النفسية ضد أعدائه اللجوء إلى الحرب الإعلامية وفق مفهومها الإسلامي ووفق ما تتطلبه ساحة المعركة بينه وبين خصومه وقد تواتر أنه كثيرا ما استخدم أساليب الحرب النفسية والإعلامية ضد أعدائه وكانت حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ أول حرب تخوضها أمريكا بعد

حرب فيتنام، مليئة بالمخاوف والحذر والتوقعات السلبية من أن تكون هناك فيتنام ثانية ولما لم يحدث ذلك، تشجعت الولايات المتحدة الأمريكية وبدأت حروبا صغيرة هنا وهناك،عندها تصورت أن عقدة فيتنام قد ولت الى غير رجعة فشنت حرب الخليج الثالثة .

كما كانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما صاحبها من إعلان أمريكى حول مسئولية تنظيم القاعدة عن الأحداث فرصة للإعلام الغربى لاستخدام الصورة النمطية الجاهزة لعلاقة الإسلام بالإرهاب،واستثمر الساسة الغربيون الفرصة لتوظيف الحدث لصالحهم وإلصاق تهمة الإرهاب بالعرب المسلمين حتى من يدافعون عن تحرير أرضهم شرعاً، ومن ثم تحولت كلمة الجهاد إلى كلمة انتحار، وبالتالى دشنت فكرة أن الدول الديمقراطية الغربية ضحية للإرهاب الإسلامى والعربى، ولكن آليات الإعلام الغربى الأمريكى لعبت دور كبير فى الإساءة للإسلام دون الدراية به وعن الآليات المستخدمة فى تشويه الإسلام فهى:

١ـ الرحالة والمستشرقون: فإذا كان بعض الرحالة والمستشرقين قدموا صورة طيبة في البداية عن العرب، فأن الكثير منهم قدم صورة مشوهة للمسلمين والعرب من أمثال الرحالة:(وليام بدويل، وادوارد ،بوكوك، وجورج ساندى، وسلمون أوكلى، وجورج سيل، وادوارد لين، ورتشارد برتون، وتشارلز دورتى، وتى ام لورنس) من المستشرقين: (

جـورج دبليـو كيـرتس، ومـارك تـوين، وجيـب، وجوسـتاف، وريتشـارد لوبس، وغيرهم.

٢ـ المناهج التعليمية الغربيـة: أثبتت عدة دراسات عن صورة العرب والمسلمين فى المنـاهج التعليميـة الغربيـة علـى أن العربى رجل همجى بدائى لايقترن بوسائل التمدن والتحضر، وكذلك الحروب الصليبية على أنها كانت صراع بين الخير المتمثل فى الغرب والشر المتمثل فى الشرق.

٣ـ كتـب الأدب والقصـص والفكرالغربـى الأمريكـي: وفيهـا تركـز علـى وصـف العربـى المسـلم بالسـذاجة والبلاهـة ،والإسـاءة للإسـلام وللمـرأة العربية والرجل العربى، ومن أمثلة ذلك(قصـة الفـارس المسـافر) للكاتـب نيكولاس لورد، وقصة باروخ نادل، وتحطمت الطائرة عند الفجر وكتـاب الرحلات العرب لمؤ لفـه تومـاس كيرنـان، الـذى يـدلل فيـه المؤلـف علـى سفه العرب.

٤ـ السينما وافلام الكرتون: أثبتت أحدى الدراسات الرائدة للكاتب جاك شاهين أصدق تعبير عن الحال المتردية التى وصلت إليها صورة العرب فى السينما الأمريكيـة حيث كشفت الدراسة أن صورة العربى فى أفلام هوليـوود تتـراوح بـين كونـه أعرابيـا مـن البـدو الرحـل وبجـوارة ناقـة وخيمـة، وكونـه ذلـك الشـخص المـنغمس فـى اللهـو والملـذات وشـرب الخمر، أو الشخص المتجرد من الحضارة أو صورة المسلم المتطرف ثم الإرهـابى المجـرم مختطـف الطـائرات ومفجـر المبـانى وقاتـل الأبريـاء،

والمهووس جنيسا،مالك الجوارى الذى يعيش فى حالة عداء متواصل للعلم والتقدم والحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

إن عمليات التشويه التى تتعرض لها صورة الاسلام فى وسائل الإعلام الغربية ليست وليدة ما بعد سبتمبر ٢٠٠١ بل تعود بدرجات متفاوتة الى قبل ذلك بكثير، ولكن هجمات سبتمبر أعطت دفعة هائلة وغير مسبوقة لهذه الحملات الإعلامية المسعورة مما ساهم فى تردى صورة الإسلام فى عيون الغربيين، خاصة فيما يتعلق برؤيتهم لموقف الإسلام من العنف و الإرهاب.

الحروب النفسية: تعتبر الحرب النفسية من الأركان الأساسية للعمل السياسي والعسكري في جميع الدول المتقدمة، وتعود سعة انتشارها في الواقع إلى التقدم الكبير الذي أحرزته العلوم النفسية والاجتماعية والسياسية في معرفة العوامل التي تؤثر على السلوك الإنساني سواء أكان الإنسان وحده أو ضمن جماعة وتعتمد القوى الامبريالية على الحرب النفسية في إخضاع الشعوب اعتماداً كبيراً ،ولاشك أن أمريكا قد سبقت العالم كله في هذا المجال، إذ جندت مئات الألوف من الأشخاص المدربين على أعمال التخريب والحرب النفسية لبسط نفوذها بواسطة وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي، فمن تجسس ومقاومة تجسس،وعملاء،وأجهزة إليكترونية جبارة وأقمار صناعية للتجسس كل هذه الوسائل من مستلزمات الحرب النفسية التي يشهدها عصرنا اليوم

في الحملة المستمرة التي تشنها أمريكا،هذه الحملة الجديدة التي تضرب على وتر النظام العالمي الجديد في محاولة منها للسيطرة على العالم،بعد أن خلت لها الساحة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وعدونا الإسرائيلي اليوم يخوض حربه معنا بالسلاح والحرب النفسية جنباً إلى جنب فلقد اعتمد على الحرب النفسية كمنهج أساسي من مناهج عمله لتقويض معنويات الأمة العربية وشل مقاومتها لفرض الوجود الصهيوني وتنظر الدوائر الأمريكية إلى الحرب النفسية على أنها صراع إرادات، يديره القادة وفقاً لخطة إستراتيجية في الميادين الإعلامية والسياسية والعسكرية، يتم تنفيذها على أسس نفسية مدروسة فهي في رأيها سلاح فعال يهدف إلى تحطيم إرادة الخصم والتعجيل بهزيمته ويعرف العالم الأمريكي شفارتز الحرب النفسية بأنها استخدام الصنوف المختلفة للحجج الحقيقية والمزورة التي تهدف إلى إضعاف الروح المعنوية لسكان الخصم وجيشه ،وتخريب سمعة قياداته ونزع الثقة بإمكاناتهم وهذا يعني في نهاية المطاف الضغط والتأثير على الرأي الاجتماعي عامة وآراء الناس المستقلين خاصة لتحقيق هذه الأهداف أو تلك كذلك فان الحرب النفسية هي استخدام الدعاية ضد عدو ما، مع مساعدة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية لاستكمال الدعاية، ، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، وهي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول في وقت الحرب أو وقت السلام لإجراءات إعلامية بقصد التأثير في

آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة.

وعلى العموم فإن الحرب النفسية هي حرب باردة ،وهي حرب أفكار تهدف للسيطرة على عقول الرجال وإذلال إرادتهم، وهي حرب أيديولوجية عقائدية،وأيضاً حرب أعصاب وسياسة ودعاية وكلمات وإشاعات وهي حرب تزلزل العقول وتغير السلوك.

ولقد استخدمت الحرب النفسية في كل الحروب قديماً استخدمها أجدادنا ففي معركة اليرموك يقول أحد الجنود لخالد بن الوليد: ما أكثر جنود الروم وكان عددهم كبيراً بقيادة ماهان الأرمني فيبادره خالد اسكت يا رجل بل قل ما أكثر العرب وما أقل الروم إن الروم لمنهزمون، فيتحقق النصر لجيش خالد الذي كان عدده أربعين ٤٠ ألفاً.

وكذلك لا تزال غزوات جنكيز خان في أذهان الناس، فقد قدرت جيوشه بأعداد لا حصر لها، وقد سعى إلى تثبيت ذلك في خيال التتار المتوحشين الذين استخدموا الجاسوسية، واللجوء إلى المبالغة في عدد قواتهم، وعنف جنودهم وكان الجواسيس يصورون قوة رجال التتار ولقد كانت الدعاية أو الحرب النفسية تعتمد على الجاسوسية -استخدام كل وسائل الدعاية -استخدام القرصنة البحرية -استخدام الخيول

والحمام الزاجل والفيلة -استعمال السحر- استعمال الألفاظ - استخدام الحيل العسكرية - التشهير السياسي - المفاجأة والخداع ووضع العدو تحت ضغط معنوي

أما في العصر الحديث فأول من نادى بتسمية الحرب النفسية العسكري البريطاني فوللر وأصبحت هذه الحرب علماً قائماً بحد ذاته، تستخدمه الدول كسلاح فعال إلى جانب الأسلحة التقليدية والحديثة فإذا كانت الأسلحة تستخدم ضد جسد الإنسان، فإن هدف الحرب النفسية هو عقله ونفسه وإرادته، وفى هذا العصر عصر القلق والتوتر، يصبح الميدان الأوسع للحرب النفسية، تلك الحرب التي توجه ضد الأدمغة والعقول ،وتفعل فيها ما تفعل - ومن الأمثلة في العصر الحديث أن نابليون عندما جاء إلى مصر أدعى انه جاء ليؤدب المماليك، ولقب نفسه حامي السلام، وادعى انه مسلم ووزع المنشورات على المصريين، كما أن الحلفاء في الحربين العالميتين الأولى والثانية لجؤوا لأساليب عدة مستخدمين الصحافة والإذاعة والتلفزيون، والنشرات وغيرها، وقد وجهت الولايات المتحدة نداء من محبي الفن في الولايات المتحدة بواسطة الإذاعة إلى اليابانيين بضرورة المحافظة على المؤلفات الفنية، ونقلها من الأمكنة التي تتعرض إلى قصف الطيران الأمريكي، وذلك لبث الذعر في نفوس اليابانيين من أن الطيران الأمريكي يهددهم ولقد كانت الحرب الدعائية الأمريكية تهدف

إلى تحقير القيادة اليابانية العليا في نظر الشعب الياباني، والحط من شأنها، وكانت تهدف إلى دب الذعر واليأس في نفوس اليابانيين من أن الاستمرار في المقاومة لا جدوى منه، وعندما أرادت فرنسا الحرة توجيه الدعاية ضد حكومة فيشي، وجه موريس شومان دعاية ضد فيليب هينريو معلق إذاعة فيشي، أنه قد تهرب من الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى، بحجة واهية والحملة التي وجهها شومان ضده أيضا هنريو مساعد الجيش الفرنسي عام ١٩١٥ ومساعد الجيش الألماني عام ١٩٤٤وهنالك الكثير من هذه الأمثلة، وقد أخذت الحرب النفسية الحديثة أشكالاً متعددة وأصبحت تعتمد في الوقت الحاضر على: الخطط - علم النفس العسكري- أجهزة المخابرات- استخدام الدبلوماسية والاقتصاد والأسلحة- الإذاعة ومكبرات الصوت- الإثارة- اللجوء للحرب الخاطفة- الصحافة - المحاضرات - وسائل الإعلام السينمائية والتلفزيونية -المطبوعات -الرسم – وجميع الفنون-والنكت- استخدام ثورة الاتصالات والإنترنت

<u>السيطرة على العقول:</u> تفتح الولايات المتحدة الأمريكية قنوات عديدة للتطبيع العربي مع دولة الاحتلال الإسرائيلي تصب جميعها في خانة الحرب النفسية التي تستهدف احتلال العقول العربية لتفريغها من كل ما يمكنه أن يساهم في مقاومة الاحتلال ودولته والمفارقة أن هذه القنوات

تنخر في الجبهة العربية الداخلية بينما في الجبهة الخارجية تخسر إسرائيل معركة الرأي العام في الغرب، فحتى الحكومة الإسرائيلية تعترف بهذه الحقيقة الآن، في حرب عقول يجري شنها في ميدان معركة لم تعترف أبدا بأنها كانت جارية كما قالت الصحفية والمؤلفة البريطانية ميلاني فيليبس في خطاب لها في مؤتمر آرييل للقانون ووسائل الإعلام الجماهيرية بدولة الاحتلال في الثلاثين من مارس عام ٢٠١٠فعندما يقارن المراقب بين النشر المحدود لصورة فاطمة شقيقة الشهيد الفلسطيني الذي قتلته قوات الاحتلال الاسرائيلي محمود عادل فارس الطيطي ويداها مخضبتان بدمائه تغطيان وجهها يوم تشييعه إلى مثواه الأخير وبين الانتشار الواسع لصورة المصرية علياء مهدي وهي تمارس التعري العلني باعتباره شكلا مستوردا من الغرب من أشكال الاحتجاج السياسي والاجتماعي، فتلحق بها تونسية وإيرانية، فإن المراقب لا يسعه إلا الاستنتاج بأن الحرب النفسية المعادية تحقق نجاحاً مضطرداً في احتلالها الثقافي للعقول العربية اليافعة ويقول المحللون العسكريون الأمريكان إن مهاجمة عقل العدو هي من أدوات الحرب الرئيسية عليه، ويقول المحللون السياسيون الأمريكان إن كسب العقول والقلوب العربية والإسلامية هو أداة رئيسية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وتعرف وزارة الخارجية الأمريكية الحرب النفسية بأنها الاستخدام المخطط للدعاية

وغيرها من الممارسات النفسية بهدف أساسي هو التأثير في آراء ومشاعر ومواقف وسلوك الجماعات الأجنبية المعادية، وكانت هيئة الأركان المشتركة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية قد عرفتها بانها الحرب التي تستخدم أي سلاح للتأثير في عقل العدو وفي دولة الاحتلال الإسرائيلي أنشأوا وحدات للحرب النفسية في الجيش والمخابرات وحتى في الإعلام دورها الرئيسي نشر التضليل الاعلامي والمعلومات المستغلة بعناية في أوساط العدو.

ويلفت النظر مشروع نموذجي لاحتلال عقول الشباب العرب أطلقه خبراء الحرب النفسية الأمريكية في الرابع والعشرين من مايو ٢٠١١، في ذروة الاحتجاجات الشعبية التي تجتاح الأقطار العربية، اسمه يالا يا قادة الشباب وعنوانه على موقعه الالكتروني مكتوب بالعربية والعبرية والانكليزية، ويعرف المشروع نفسه بأنه حركة من أجل السلام وبلغ عدد أعضاء الحركة حتى الآن ما يزيد على ٣٣٣ ألف عربي ومسلم وإسرائيلي من الشبان والشابات والمفارقة أن المشروع يتعامل مع الوطن العربي كوحدة واحدة، وإن كان يسميها منطقة الشرق الأدنى وشمال إفريقيا، لكنها تضم دولة الاحتلال الإسرائيلي كجزء عضوي منها وعضويتها ليست موضع جدل أو نقاش، بالرغم من الجهود الأمريكية والغربية والصهيونية الحثيثة لترسيخ التجزئة السياسية العربية بل

وتفتيتها ومن القضايا التي يتم حشد الأعضاء لدعمها أطفال من أجل السلام والسلام من غزة من دون أن يكون إنهاء الاحتلال مثلا قضية جديرة بدعم الأعضاء، ومن هذه القضايا أيضا سوريا الجديدة حيث يتم التركيز على تفاصيل الانشقاقات عن الجيش العربي السوري والفرار منه وهزائمه وحيث يتم الترويج للاعنف الذي لا تزال الإدارات الأمريكية المتعاقبة تصر على نبذ عرب فلسطين له، ومنها كذلك المساواة بين الجنسين والشواذ جنسياً ولهذا الغرض أصدر أعضاء المشروع إعلان يالا – القادة الشباب لمساواة النوع الاجتماعي (الجندر) ويتناول المشروع زيارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما فيقلل من شأنها لأنه في نهاية المطاف نحن الذين نحتاج إلى السلام ولهذا السبب فإن إحدى الخطوات الهامة في جهودهم تأسيس مؤتمر تفاوض شعبي عام كبير إسرائيلي – فلسطيني، للشباب الأعضاء في الحركة طبعا ولجذب الشباب العرب أنشأ المشروع أكاديمية على شبكة الانترنت تشارك فيها جامعات وشركات تكنولوجيا معلومات، وأطلق مبادرات فلسطينية – إسرائيلية مشتركة منها مؤتمر للتعاون السلمي والاقتصادي، وفتحت صحيفة الجروزالم بوست العبرية صفحاتها لأول عامود صحفي للحركة كان أول كتابه عضو الحركة الكويتي خالد الجاسر، ونظم أواخر عام ٢٠١١ مخيما للتكنولوجيا بمركز شركة مايكروسوفت في هرتزليا بدولة الاحتلال، وكان يوفال هيداس ومحمد الحاج الفائزين في مسابقة للصور

وبطلين من أبطال الصداقة عبر الصراع ومبادرة أصدقاء بلا حدود وكان أول استقبال رسمي لوفد من هذه الحركة الشبابية مع وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية بالوكالة للدبلوماسية والشؤون العامة كاثلين ستيفنس في أبريل ٢٠١٢، وفي ذات العام دعي وفد لحضور قمة مبادرة كلينتون العالمية في العاصمة الأمريكية حيث استغلت الزيارة لتعزيز الصلات مع يو. اس. ايد (USAID) والدائرة المعنية بقضايا الشباب العالمي في وزارة الخارجية حسب موقع الحركة الالكتروني ويعترف عميل الموساد الإسرائيلي السابق فيكتور أوستروفسكي في كتابه عن طريق الخداع بأن الموساد كان وراء كل الشائعات عن الرئيس الفلسطيني الراحل الشهيد ياسر عرفات، ويسجل المؤلف استغرابه لأن كثيراً من العرب رددوا تلك الشائعات باعتبارها حقائق ومنهم بعض المثقفين ولم يكن عرفات آخر أو أول ضحية للحرب النفسية المعادية، فقد سبقه وتبعه عدد من القادة العرب والمسلمين.